

أزمة الإعلام الثقافي في البيئة الثقافية الجزائرية

د. حجام الجمعي، أستاذ محاضر-ب-
جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي-

ملخص

يرصد هذا المقال لتراكم المؤشرات الكمية والنوعية لأزمة الصحافة والإعلام الثقافي في البيئة الثقافية الجزائرية عامة وفي المشهد الإعلامي الوطني خاصة، عبر مختلف المراحل والتحويلات التي عرفها الاعلام الجزائري وعبر مختلف المراحل الانتقالية للدولة الوطنية، مع محاولات تشخيص مكامن أزمة العجز على التأسيس لإعلام ثقافي يكون قادرا على استيعاب الارث الثقافي والحضاري للدولة الجزائرية وفي مستوى تطلعات المجتمع بثقافته الشعبية وبنائه وتنوعه الثقافي. فبعد أن خرج الاعلام من الهيمنة الايديولوجية في ظل الأحادية الحزبية انحرف نحو التسييس المفرط بعد الانفتاح على التعددية السياسية والإعلامية، ويتجه الإعلام الجزائري اليوم في ظل التوجه الصريح للدولة نحو الاقتصاد الحر لتعزيز منطق التوجه التجاري والربحي.

الكلمات المفتاحية: أزمة، الإعلام الثقافي، البيئة الثقافية

Abstract

This article is devoted to the accumulation of quantitative and qualitative indicators of the crisis of the press and the cultural media in the Algerian culture in general and in the national media scene in particular through the various stages and transformations experienced by the Algerian media and through the various stages of the transition of the national state, with attempts to identify the sources of the crisis of incapacity to establish a cultural media capable of To absorb the cultural and civilizational heritage of the Algerian state and the aspirations of the society for its popular culture, richness and cultural diversity.

Key Words: Crisis, Cultural Media, Cultural Environment.

مقدمة

في الوقت الذي فتح الفضاء الإلكتروني فرص التعبير والكتابة للجميع وبدأت تظهر ملامح تشكل المواطن الصحفي، تكشف الكثير من المؤشرات عن التوجه نحو إعادة إنتاج الأزمة الإعلامية في بعدها السياسي والإيديولوجي، في الوقت الذي كان ينتظر فيه المهتمون بالمشهد الثقافي ويراهنون على الإعلام الإلكتروني لنفخ روح جديدة في الإعلام الثقافي والرفع من كفاءته أدائه، وتكريسه لمواجهة مخاطر التدفق الإعلامي في ظل الفضاء الاتصالي الكوني المفتوح، لتحقيق الأمن الثقافي الوطني.

مما يطرح عدة إشكاليات علمية ومعرفية حول آفاق البناء والتطوير للإعلام الثقافي الذي يتجه ببطء نحو الموت بتحالف عدة متغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية وتكنولوجية. فما هي مظاهر ومؤشرات الأزمة في الصحافة والإعلام الثقافي في الجزائر؟ وما هي طبيعة هذه الأزمة وأهم عواملها؟ وما هي الحلول الضرورية لتجاوز أزمة الإعلام الثقافي في الجزائر وتحويل الصحافة والإعلام الثقافي إلى دعيمة أساسية من دعائم البيئة الثقافية في الجزائر ورافدا من روافدها؟

1- مفهوم الإعلام الثقافي والبيئة الثقافية في الجزائر:

1-1- مفهوم الإعلام الثقافي: يمكن الجزم بصعوبة تحديد مفهوم كامل ودقيق للإعلام الثقافي من منطلق التعقيد الذي يميز الثقافة باعتبارها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة والأفكار والفنون والعلوم والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين ومختلف السلوكيات والمقومات التي يكتسبها الفرد من حيث هو عضو في المجتمع⁽¹⁾. وبذلك يكون الإعلام الثقافي هو الإعلام المتخصص في الشأن الثقافي كله والمشتغل على سيروية وديناميكية الحياة الثقافية بشكل عام في مجتمع من المجتمعات إنتاجا واستهلاكاً وتصنيعاً وترويجاً وثقافاً⁽²⁾. فالإعلام الثقافي بمثابة نمط شامل للحياة يهتم بإحياء بالثقافة الرفيعة والجادة بمختلف أنواعها وفروعها سواء تعلق الأمر بالآداب والعلوم والفنون الشعبية والدرامية والتشكيلية والتصويرية والمسرحية أو بالتراث الثقافي والحضاري بفنونه الرمزية والمادية كالتراث الشعبي بمختلف مجالاته كدعامة أساسية لإثبات الوجود الأمثل والتنشئة الاجتماعية الراقية والتطور المذهل لجميع الأفراد في المجتمع في الاتجاه الذي يمكنهم من امتلاك الأدوات المنهجية والعلمية للتأسيس لسلطة العقل والعلم والتعديد لسلطة الخرافة والجهل.

وإذا كان الإعلام المتخصص عامة والإعلام الثقافي خاصة يعبر عن مرحلة من مراحل تقدم وسائل الإعلام بالموازاة مع التطورات التي تحققت في البنية الفكرية والمادية للمجتمعات مما فرض اتجاهها ضرورياً نحو تقسيم العمل، فإن الإعلام المتخصص "لا ينطلق قبل أن تتوفر لديه شروط الانطلاق الموضوعية المتمثلة في الاقتصاديات المتطورة وانتشار التعليم بمختلف تخصصاته، إضافة إلى توفر الشروط الذاتية المتمثلة في امتلاك رؤية شاملة لواقع الجمهور الذي تتوجه إليه وسائل الإعلام"⁽³⁾.

ونظراً لارتباط الإعلام المتخصص بالجمهور المتخصص فقد تم تقسيم الثقافة إلى ثقافة عامة أو شعبية وتتميز بالعفوية والبساطة وعادة ما يتم تناقلها شفاهة، وثقافة رفيعة أو ثقافة نخبية تنتجها الصفوة بما تمتلكها من عبقرية فكرية عالية ونفوذ قوي. وثقافة جماهيرية وهي ثقافة الميديا بمختلف وسائلها وهي محل جدل كبير حول قيمتها للأفراد والمجتمعات. وتعد النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من النظريات التي ركزت جهودها على التصنيع الثقافي عن طريق الوسائل الإعلامية المختلفة وتعتبر الثقافة الجماهيرية كأداة تدميرية للثقافة الرفيعة وللأنسجة العقلية في المجتمعات الحديثة. لكن يرى البعض بالمقابل أن وسائل الإعلام قامت بدور الوسيط بين الثقافة الرفيعة والنخبوية والثقافة العامة

الشعبية، وبدورها ذلك دفعت الصفوة للانحدار درجة أو درجات من على منبرها المرتفع، بالمقابل شدد الجمهور العريض وجذبه درجة أو درجات ليلتقي الطرفان في مستوى معين وهو الثقافة الجماهيرية.⁽⁴⁾ وبناء على هذا الاختلاف في الجهد التنظيري في نظرته للصحافة والإعلام الثقافي، تبلورت مفاهيم علمية وإعلامية متعددة للإعلام المتخصص في الحقل الثقافي، فمنهم من يطلق تسمية الصحافة الأدبية أو الفكرية أو الفنية على الإعلام الثقافي، ومنهم من يسميه الإعلام العلمي أو التكنولوجي.. فظهرت نماذج من الإعلام المتخصص المتفرعة عن الإعلام الثقافي بمفهومه الشامل.

وفي الوقت الذي يتحفظ البعض على اعتبار الصفحات الثقافية إعلاما ثقافيا⁽⁵⁾ باعتبار الإعلام الثقافي نسق متكامل للحياة الثقافية في المجتمع. ومن بين ما يميز الصحافة الثقافة أو الإعلام الثقافي عامة أنه وعلى الرغم من أن الشكل الخارجي لهذه الصفحات الثقافية يعطيها مظهر الصفحات الأكثر براءة وطرافة فإنها في حقيقتها الصفحات الأكثر قدرة على أن تكون الأكثر خطرا وتوجيها، لأن الأيديولوجيا فيها مخبوءة وراء أودية الفن والجمال والإبداع".⁽⁶⁾ كما تعتمد الصحافة الثقافية على مجموعة من الأساليب التحريرية والأنواع الصحفية الفكرية المستقطبة لجماهيرها التي تكون عادة من النخب المثقفة أو من الذين يملكون حظا وافرا من الثقافة العامة. ومن أبرز هذه الأنواع الصحفية الفكرية المقال الصحفي سواء المقال الأدبي أو العلمي أو الصحفي⁽⁷⁾ ويمثل المقال بتعدد أنماطه وبكثرة أشكاله المادة التحريرية الصحفية الأكثر أهمية وإيجابية وفعالية عند كبريات الصحف العالمية والعربية وتمثل صفحاته وأركانه وأعمدته وسطوره وكلماته الدليل المادي والفكري على حياة الصحافة وقيامها بمسؤوليتها الوطنية والاجتماعية بطريقة مباشرة. ومن ثم على أثرها وتأثيرها على ماجريات الأمور، وعلى قيامها بالدور الذي ينبغي أن تقوم به خدمة لقراءها وهو هنا دور واضح ومتميز وإيجابي وفعال أيضا".⁽⁸⁾

1-2- مفهوم البيئة الثقافية: لا يمكن الحديث عن الاعلام الثقافي بمعزل عن البيئة الثقافية كبيئة حياة لمختلف العناصر والمتغيرات الثقافية أو "كإيكولوجيا حيوية" بمفهومها الشامل. وقد اشتقت البيئة من أصل لغوي قديم يعني البيت أو المنزل.⁽⁹⁾ وبالتالي جرى توسيع أبعادها الدلالية لتعبر البيئة عن البيت العالمي أو القرية الكونية على حد تعبير مارشال ماكلوهان بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد دلالية إنسانية فكرية وثقافية في إطار التحولات الثقافية المختلفة سواء في إطار التحالف أو الصراع.⁽¹⁰⁾ "للعلم فقد ظهرت البيئة مرتبطة بالطبيعة لتعني المحيط الطبيعي (أي غير الإنساني وغير الثقافي) واندماج بها علم البيئة كجهد علمي لربط الكائنات العضوية كالإنسان ببيئتها. واستعملت كلمة محيط أو طوق environ للمرة الأولى في القرن الثالث عشر في عدد من المعاني التي تصور ما يحيط بالذات الإنسانية".⁽¹¹⁾

وأورد عبد الغني عماد مفهوم البيئة باسم "الإيكولوجية البشرية" والتي تهتم -حسبه- بدراسة العلاقات بين الإنسان وبيئته، والوقوف على مبلغ تفاعله مع عناصر هذه البيئة والآثار المتبادلة بينه وبينها. ويتضمن هذا التفاعل ظهور أنماط وأساليب للتفكير والعمل الإنساني، وتتصل هذه الأنماط ببعضها البعض بحيث تكون أنساقا بيئية. ويمكن دراسة العلاقات الإيكولوجية من وجهتين، الأولى وصفية للحياة الاجتماعية وتصورها كما هي في وقت معين وكما تجري في المناطق المختلفة. والثانية دينامية تتبعية تتعلق بالحياة الاجتماعية في تغيرها ما بين زمن وآخر، وما يترتب على ذلك من تغيرات في البناء الاجتماعي ووظائفه عبر الزمن".⁽¹²⁾

والمقصود بالبيئة الثقافية في الجزائر الفضاء الثقافي العام في الجزائر بتحالف مكوناته وأجزائه المشكلة للفعل الثقافي فيه. سواء في عناصره المادية والبشرية ومجموع الظروف والعوامل الذاتية والموضوعية المادية والبشرية والتاريخية التي تصنع الفعل الثقافي سواء المؤثرة فيه أو المتأثرة به.⁽¹³⁾

أو بصيغة أخرى هي نتائج تراكم تفاعلات الأفراد والأشخاص الطبيعيين والمعنويين والجماعات البشرية المختلفة مع مختلف المؤسسات العلمية والإعلامية والفكرية والإيديولوجية وفي المحيط الطبيعي والاجتماعي الجزائري.⁽¹⁴⁾

1-3- تحولات البيئة الثقافية في الجزائر ومظاهر التوتر والتبعية الثقافية: عرفت البيئة الثقافية الجزائرية تحولات هامة ساهمت في مراكمتها مجموعة من العوامل المادية والتاريخية الذاتية والموضوعية. وقد غدت الحركات الاستعمارية والاستيطانية المختلفة هذه التحولات وساهمت في صناعة تعددية انشطارية للجسم الاجتماعي من خلال تكريس ثقافة التعدد باسم الحق في الاختلاف بما في ذلك حول القضايا الجوهرية والمصرية التي ترفض الحكمة والمنطق الاختلاف فيهما.

ويمكن القول إن البيئة الثقافية الجزائرية حافظت على وضعها المتأزم إيديولوجيا "وعجزت عن تجاوز الأزمة المصطنعة أحيانا والموضوعية أحيانا أخرى".⁽¹⁵⁾ وهي الأزمة التي تمتد بجذورها إلى الإستعمار الفرنسي الذي غرس ثقافة فرق تسد وسياساته التعليمية ومناهجه التربوية الرامية إلى مسخ الشخصية الوطنية الجزائرية وطمس هوية الشعب الجزائري، وإلى بعض الانشقاقات والتصدعات في مختلف حركات النضال الوطني من أجل نيل الاستقلال. وقد توحدت الجهود الجزائرية وبالأخص في نسقها الثقافي الفكري والاتصالي والتفت حول المشروع الثوري، لكن الاستقلال السياسي للجزائر لم يستقطب مختلف النخب المثقفة العلمية والتقنية والسياسية لتقديم تنازلات من أجل الانخراط بدون خلفية إيديولوجية في مسار بناء الدولة الوطنية.⁽¹⁶⁾

تربط مختلف الدراسات الاضطراب القيمي والأخلاقي والتوتر الثقافي الذي تعيشه البيئة الثقافية الجزائرية اليوم بالاستعمار الفرنسي في المقام الأول وبمختلف الحضارات المتعاقبة عليها في المقام الثاني ويتمظهر هذا التوتر الثقافي في وقتنا الراهن، في تداعي الرواسب الاستعمارية للنقاش العلمي والإعلامي بحيث ومع مرور الزمن استقطب هذا التوجه نقاشات انفعالية عمقت من حدة الصراع الإيديولوجي القائم خاصة بين النخب المتعلمة وبالأخص بين المعربين والمفرنسين. "فالصراع العقائدي الذي تضمنه هذا الجدل عبر عنه على مستوى اللغة والثقافة، لكنه كان واضحا أكثر في التصادم بين العربية والفرنسية باعتبارهما وسيلتين لنقل الإيديولوجيا. فالأولى أداة نقل للثقافة العربية-الإسلامية والثانية أداة نقل للثقافة الغربية. ولذا يمكننا القول إن الصراع اللغوي في الجزائر كان ولا يزال يشكل جزءا أساسيا من الصراع الإيديولوجي بين المعربين والمفرنسين".⁽¹⁷⁾ فقد اتهم المعربون بأنهم محافظون ورجعيون في أفكارهم وأفعالهم، في حين اتهم الفرنكوفونيون بالعمالة والشيوعية والاعترا ب عن الثقافة الوطنية. فإذا كان المعربون يعتقدون أن عملية التنمية يجب أن تتم في إطار الثقافة العربية-الإسلامية فإن الفرنكوفونيين كانوا يرون أن أية تنمية حقيقية يجب أن تكون مشروطة بالتخلي عن المنهج العربي-الإسلامي".⁽¹⁸⁾

ويرجع مصطفى الأشرف تناقضات الثقافة الجزائرية خاصة في شقها اللغوي إلى التسرع في الإسراع إلى خلق جيل كامل من الفاعلين الثقافيين بعد الاستقلال في مختلف فروع الثقافة بدون جهود عقلانية وطرق منهجية في الإعداد والتكوين والمتابعة. يرى لأشرف أن الثقافة التي سادت بعد الاستقلال ولدت ونمت "مشوهة ومعطوبة"⁽¹⁹⁾ والتعطش الشديد للمعرفة لا يخلو من الاضطراب، إذ لم يخرج المجتمع الجزائري من طور الأمة كشعار إلى طور المجتمع كواقع، يقول: "أخذ الناس يتنافسون في حماس لجمع كل ما يتعلق بكفاح البلاد من معلومات قديمة وحديثة، على أن هذا العمل كان يرمي بالدرجة الأولى إلى التغني بالماضي والرد على الأعداء، أكثر مما كان يرمي إلى التوعية والنقد الذاتي ... ويضيف، لو قامت هذه

الثقافة بشيء من التعديل في اتجاهها لتصدق لمعالجة النقائص والقضاء على الضحالة الفكرية التي كانت تعاني منها الإطارات والشببية المناضلة ولعلمت على الصعيدين الفكري والمدني للانتقال من طور الأمة إلى طور المجتمع".⁽²⁰⁾ والثقافة تكسب قوتها عندما تعكس الواقع بحرية في تعددته دون إقصاء أو تهميش لنمضي جميعا نحو أهدافنا الوطنية والتقدمية والتخلي عن الطابوهات غير المجدية لأنه كنا ولا نزال في حاجة إلى الفهم الواقعي للأشياء. الشيء الذي يمكننا من تدارك مآزق التخلف الثقافي.⁽²¹⁾

ونتيجة لهذه الوضعية لم يعد الطلبة الجزائريون عرضة للانقسام اللغوي فحسب، بل كانوا عرضة أيضا للانقسام الإيديولوجي، فكان منهم الوطني والسلفي والشيوعي والاشتراكي والليبرالي... إلخ. وعليه من الممكن القول إنه بدلا من التحرر الثقافي، تم تعزيز التبعية الثقافية وتعميقها، وبالتالي أصبحت الثقافة الوطنية محاصرة في عقر دارها مرة ثانية، وأصبح حلم تحرير الجزائر ثقافيا بعيد المنال".⁽²²⁾

والغريب في الأمر أن مختلف الأنظمة المتعاقبة أخفقت في تكريس وتجسيد السلطة العلمية في المجتمع عبر تكريسها في مختلف المؤسسات التربوية والتعليمية من المدرسة إلى الجامعة. كما أن تربي المفكر على السلطة الأبوية و الوصاية نتج عنه ومنذ 1962 تطور خطاب ثقافي يعكس مغامرات وتبعيات وهزائم المثقف في علاقته بالسياسي والإداري مما أدى إلى تسييس الثقافة والمثقف وتوظيفهما، وإن كان دعم لبنات بناء المسار الديموقراطي يتطلب تأسيس خطاب ثقافي فكري نقدي يجتذّر في المجتمع أكثر مما يرتبط بالدولة ويسمح بالانتقال من " تسييس الثقافة الى تثقيف السياسة".⁽²³⁾

إذن فالبيئة الفكرية والثقافية الجزائرية المعاصرة، -يقول بلحسن- لم تعرف سوى الانقطاعات والتوترات ولم تتأسس كنسيج من العلاقات والتبادلات والحوارات، في فعاليات جماعية مغيرة، تغذيها الكتابة كعملية حديثة وعصرية، تعطي الفعل الثقافي قيمة ومقاما يحققان اندماج المثقفين في شؤون المجتمع وإنصاتهم لتحولاته وتغييراته، فليس ثمة مجالات معينة وفضاءات محددة ومستقلة تسمح بإنجاز حوار فكري اجتماعي عام منتظم ودائم بين المثقفين والقراء والمجتمع.⁽²⁴⁾

إضافة إلى كل هذا فالتحول الذي يشهده المجتمع الجزائري نحو تلقي الخطاب الإعلامي الأجنبي الغربي والعربي سيما الرديء منه، وكذا التحول نحو الاستهلاك المفرط وغير العقلاني للمضامين المتدفقة عبر الشبكة العالمية للمعلومات أو الشبكة العنكبوتية العالمية وبالخصوص الإقبال المفرط على الإعلام الجديد وما يلازمه أحيانا من تعبير عنيف وغير أخلاقي بات يهدد الأمن الثقافي للجزائر سيما في ظل ضعف وتهلّل البدائل التقليدية القادرة على الممانعة الثقافية أو على الأقل القادرة على التثاقف.

2- مفهوم الأزمة ومكان الأزمة في الإعلام الثقافي في الجزائر؟ الأزمة هي حالات الاختلال والاضطراب في نظام الأشياء والأفكار، ويتمظهر الاختلال أحيانا في المشهد الاعلامي عامة والإعلام الثقافي خاصة في التفكك القيمي⁽²⁵⁾ والاضطراب الأخلاقي للخطاب الاعلامي والعجز الوظيفي والهيكل للمؤسسات الإعلامية وصولا إلى ضعف واستلاب واغتراب الجمهور. وبالتالي فأزمة الإعلام الثقافي هي أزمة بنوية ووظيفية ومتعددة الأبعاد، بل يمكن اعتبارها شاملة لمختلف عناصر العملية الاتصالية لكنها تتفاوت حدتها من المرسل إلى الوسيطة إلى الرسالة إلى المستقبل.

إن أزمة الإعلام الثقافي هي جزء من أزمة شاملة مست مختلف وسائل الإعلام التقليدية والالكترونية فالإعلام الجزائري كما الاعلام العربي يعيش واقعا مأزوما يتمثل في بنيته ومضامينه وكوادره وفي علاقته بعصره وبواقعه وجمهوره. تترسخ طقوس المقابر في هذا الواقع الاعلامي العربي المأزوم إلى درجة كادت أن تؤدي إلى انسداد الآفاق أمام أية إمكانية للانفراج والتغيير بل وحتى للفهم، وعلى عكس ما تردده جوقة الانتهازيين والمنافقين والمغامرين أن جوهر الأزمة التي يعيشها الاعلام العربي سياسي أولا

وأساسا وبعد ذلك وبتعبير أدق من ذلك تأتي العوامل الأخرى".⁽²⁶⁾ ويضيف أديب خضور "تدفع الازمة المزمنة التي يواجهها الاعلام العربي وما يترتب عليها من آثار تتجسد في قيم وممارسات ومعايير نقول تدفع باتجاه خروج الاعلام العربي من ساحة الفعل الداخلي والخارجي. الامر الذي يشكل موضوعيا أساسا لفراغ قاتل تسعى قوى ظلامية متعددة ومتنوعة لملئه، وهذا من شأنه أن يؤدي تراكما إلى خروج الاعلام العربي من التاريخ الإعلامي".⁽²⁷⁾

للعلم فإن أزمة وسائل الاعلام ليست وليدة اليوم ولا هي ظاهرة مقتصرة على الدول النامية ولكنها مست أيضا المجتمعات الحداثية والدول الديموقراطية الكبرى. فوسائل الاعلام بالخصوص الصحافة المكتوبة تراجعت في هذه المجتمعات التي تنعت بالديمقراطية وأدرجت ضمن نظام الهيمنة السائد في هذه الدول وأكدت دراسات للعديد من الباحثين أن وسائل في الديمقراطيات الليبرالية وقعت في أزمة حقيقية. فتشومسكي القائل بأن الأخلاق تخرج من أفواه البنادق ووجدنا الأمريكيين من يملك هذه البنادق يعتبر أن القمع الرمزي الذي تمارسه الدعاية في المجتمعات الديمقراطية، يعد بمثابة العصا في المجتمعات الشمولية⁽²⁸⁾ من جهته هربرت شيلر يقول بأن وسائل الإعلام من خلال تلاعبها بالعقول تكرس مظهرا خادعا من روح الحياد والموضوعية كما تعزز وهم المشاركة الشعبية".⁽²⁹⁾

هذا التهديد الصريح للإعلام دق ناقوس خطره الكثير من المفكرين والمنظرين في الحقل الإعلامي على غرار عالم الاجتماع "بيير بورديو" و "ريجيس دوبريه" ورواد مدرسة فرانكفورت النقدية، وكان مدير جريدة العالم السياسي، إغناسيو رامونيه الذي أعد ملفا حول الموضوع عنوانه "وسائل الإعلام في أزمة les Medias en crise" قد حذر من خطورة التحالف الذي يتوثق أكثر فأكثر مع القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية، و التي تشكل ضربة قاضية لمصادقية وسائل الإعلام، بل وتكشف عن إفلاس ديمقراطي مقلق، ففيما تهيمن صحافة المهادنة إلى الزوال تتراجع الصحافة المنتقدة، ويبدو أن الصحافة الحرة في عصر الإمبراطوريات الإعلامية الضخمة في طريقها إلى الزوال.⁽³⁰⁾

ورغم أن مظاهر هذه الأزمة لم تتبلور ولم تكشف بعد بجلاء عن مؤشراتاتها في وسائل الإعلام الجزائرية لكن يجب التسليم بأن المشهد الإعلامي الجزائري عرضة لهذه المخاطر التي قد تعمق من حدة أزمة الخطاب الإعلامي في الجزائر. خاصة وأن الكثير من مؤشرات الأزمة التي استعرضناها في البيئات الإعلامية الرأسمالية بدأت تظهر في البيئة الإعلامية الجزائرية. بل يرى البعض أن الأزمة التي يعاني منها الإعلام الثقافي في الجزائر أعمق وأخطر مما يشهده الإعلام الغربي، لأن الأمر يتعلق بأزمة الهوية وأزمة الوجود في الأساس. يقول الكاتب والصحفي ابراهيم قارعلي "بالتأكيد لا يوجد إعلام ثقافي في الجزائر، ومن الخطأ أن نوكل المؤسسات الإعلامية أو إلى الصحافة مهمة إنتاج الإعلام الثقافي، مثل هذه المهمة يجب أن تضطلع بها مؤسسات ثقافية وفي مقدمتها وزارة الثقافة ودور النشر والجمعيات ذات الطابع الثقافي".⁽³¹⁾ وقد ساهمت مجموعة من العوامل التاريخية والموضوعية والذاتية في كبح الفعل الثقافي في بعده العلمي والإعلامي والإبداعي. فالأزمة الأمنية التي عرفت الجزائر عمقت من حجم الانحراف في الممارسة المهنية للصحافة وراكمت عدة أشكال من الخروقات والتجاوزات أحيانا بسبب نقص الخبرة المهنية وأحيانا بفعل الضغوطات الرهيبة وتبادل الاستقطاب في الترغيب والترهيب بين مختلف أطراف الأزمة، وأحيانا أخرى باسم التعصب الإيديولوجي البراجماتي. وقد عمدت الصحافة الجزائرية إلى التفاعل أو التعامل مع هذه الأزمة عبر طرق غير محترفة وغير مهنية.⁽³²⁾ ومنها طريقة المعالجة المثيرة التي تعتمد على التهويل والتضخيم وأحيانا تميل إلى تضخيم أشياء لا ينبغي تضخيمها وعادة ما تكون على حساب أشياء مهمة جدا يتم تقزيمها أو التهوين منها بقصد أو بغير قصد ، وهذه الطريقة كانت سائدة بقوة في

وسائل الإعلام الجزائرية على اختلافها من صحافة مكتوبة خاصة أو عمومية وإذاعة وتلفزيون وحتى بعض المواقع عبر شبكة الانترنت وتفتقد هذه الطريقة إلى البعد الإنساني في الممارسة الإعلامية".⁽³³⁾

2-1- الصحافة والإعلام الثقافي في الجزائر من التنوير إلى التسييس: حذر بعض الأكاديميين المختصين في التشريع الإعلامي من مخاطر التسييس المفرط للمؤسسات الإعلامية.⁽³⁴⁾ كمؤشر قوي على تأزم الخطاب الإعلامي واستمرار تراجع الاعلام الثقافي عامة والصحافة الثقافية خاصة في الجزائر عبر مختلف المراحل التي عرفتھا الجزائر، مما يعني أن الاعلام الثقافي في الجزائر لم يولد مشوها. فقد ظهرت الصحافة الأدبية من خلال الملاحق الأسبوعية للجرائد الوطنية، حيث كانت تكتب أقلام كبيرة جزائرية وعربية وتبحث في التاريخ والأدب العربيين في الجزائر وما زالت بعض الجرائد تواصل سيرها ومنها ما اقتصت بالشأن الثقافي، ومنها جرائد خصصت لها أقساما ثقافية تعنى بشؤون الثقافة وأخبارها ومستجداتها على المستويين الوطني والعالمي. "وبهذا نستطيع القول أن الصحافة الجزائرية لعبت دورا مهما من أجل الحفاظ على الهوية والتاريخ والخصائص الجزائرية منذ الاحتلال إلى الاستقلال وعملت على إبراز الثقافة الجزائرية التي استطاعت أن تفرض نفسها على المستويين العربي والدولي وتحصد عدة جوائز لها وزنها الإقليمي والعالمي".⁽³⁵⁾

غير أن الصحافة الثقافية والإعلام الثقافي بشكل عام والذي ساهم إحداث حركة ثقافية غير مسبوقة غداة الاستقلال سيما في أواخر السبعينيات وبدايات الثمانينيات متجاوزا الهوامش الضيقة للمناورة الثقافية والمغامرة الفكرية في ظل الكوابح المفروضة في إطار الحزب الواحد، ولكن يمكن القول أن لتلك الحركة الثقافية الدور البارز في صناعة التغيير والتحول السياسي الذي ظهر في أواخر ثمانينيات القرن الماضي في شكل مطالب جماهيرية لإصلاح الوضع القائم وتحصيل مزيد من الحريات الثقافية الفكرية والعلمية والمعرفية والإعلامية والسياسية رغم التراجع الكبير الذي صاحب المرحلة الانتقالية بفعل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت لها انعكاسات سلبية على الحياة الثقافية.⁽³⁶⁾

وتستمر الصحافة الثقافية في التراجع رغم العهد الجديد الذي عرفته في ظل الانفتاح السياسي والإعلامي في تسعينيات القرن الماضي. فرغم الآمال الكبيرة التي عقدها الباحثون المختصون وعديد المثقفين على الصحافة المكتوبة الخاصة في إحداث الثورة الثقافية الضرورية لبناء الشخصية الجزائرية ومحور الآثار التدميرية للاحتلال الاستيطاني لأكثر من قرن وثلاثين سنة ومحاولة تدارك أزمة الخطاب الثقافي المؤدلج للسلطة التي صادرت ثقافة الاختلاف وقيدت العقول بمجموعة من الحواجز النفسية والإيديولوجية. لكن فاقد الشيء لا يعطيه ولأن المغامرة الفكرية تتطلب وقودا فكريا وليس انفعاليا وعاطفيا فالاندفاع نحو الإقلاع تسبب في التراجع عن المكاسب المحققة سواء في ظل الإستعمار أو في ظل الخطاب السلطوي تحت حكم الحزب الواحد.⁽³⁷⁾ هذا التمزق في النسيج الفكري والقيمي عرقل ظهور "المشروع المجتمعي" القائم على التصور العلمي والمنطق الثقافي الذي من شأنه "بناء شخصية وطنية من منطلق الأصالة والحداثة وفق التغيرات العالمية بما يحدد التمايز الثقافي والديني عن الآخرين".⁽³⁸⁾

ويتداعى هذا التنافر الإيديولوجي في الخطاب النخبوي ثقافيا وإعلاميا بدون سابق إنذار وترصد علمي وفكري وأحيانا بطريقة عنيفة وعنيفة. وقد عرفت السنتين الأخيرتين انحطاطا كبيرا في خطاب المثقفين عبر الصحافة المكتوبة الجزائرية في شكل دفاع وهجوم على أشخاص بدل إنتاج أفكار وطرح بدائل منهجية لتحديث التفكير الجزائري وانتشاله من رعب الإيديولوجيا المدمرة. كما جرى الأمر في قضية تكفير الروائي كمال داوود، وقضية الأصالة والاستئصال في مناهج الإصلاح التربوي التي أحدثتها وزيرة التربية الوطنية نورية بن غبريط، ومؤخرا قضية الروائي رشيد بوجدر... وغيرها من القضايا الثقافية التي

تنتج اصطفاها إيديولوجيا غير علمي وغير أخلاقي في الكثير من الأحيان بين التيارين الإيديولوجيين المتصارعين. لكن وبالمقابل يحتكم بعض المثقفين إلى رجاحة العقل لدراسة الموضوع من مختلف جوانبه وتحليله بمختلف أبعاده بعيدا عن الحشد والتجيش والتكفير والتخوين، عبر الدعوة إلى تجديد الفكر الجزائري وإعادة النظر في القراءة التراثية للتراث الثقافي الوطني الفكري والديني وتمكين المجتمع من أدوات الفهم الموضوعي والتقدم والانتقال إلى مجتمعات المعرفة.⁽³⁹⁾

ويشهد الإعلام الثقافي عامة والصحافة الثقافية اليوم حسب المتابعين أسوء المراحل وأصعبها على الإطلاق، بفعل تزايد الاحتقار الرسمي والشعبي وحتى النخبوي للفعل الثقافي عامة مقابل التزايد المفرط على تشجيع الترفيه واللهو باسم الثقافة. ويؤكد المختصون والأكاديميون ومسؤولي الأقسام الثقافية في الصحف الجزائرية ومختلف الوسائل الإعلامية هذا الاتجاه ويجزمون أن الثقافة تنذيل صفحات الجرائد فيما يتصدر التهويل السياسي والتهريج الرياضي والإثارة والجرائم الاجتماعية والجنسية أولى أولويات الصحف والمؤسسات الإعلامية التي خضعت لتجار السياسة وسطوة شركات الإشهار، مما جعل الصحف تنهج تغيب العقل في وسط هذا الركام غير الأخلاقي وغير المهني من الفوضى الإعلامية.⁽⁴⁰⁾

فالإعلام الثقافي والصحافة الثقافية اليوم مهددة بالاندثار باعتبارها -حسب زهية منصر- العجلة الخامسة أي عجلة الإنقاذ التي لا يستنجد بها إلا وقت الحاجة إلى تغطية العجز في تسويد بياض صفحات الجرائد وغياب الإشهار، بينما تستبعد بمجرد توفر صفحة للإثارة أو أخبار التهريج السياسي، أما صفحات الإشهار فهي أولى الأولويات وقد تنازلت الصحف عن شرف المهنة وعن الصفحة الأولى شبه كاملة لسطوة لإشهار التجاري.⁽⁴¹⁾ وفي ظل هذه الأزمة المتعددة الأبعاد للخطاب الثقافي عامة وللخطاب الثقافي الصحفي والإعلامي من المنطقي أن يتراجع تأثير الصحافة الثقافية ويتعزز عجزها المزمّن.

2-2- الأزمة الاقتصادية تعمق أزمة الصحافة والإعلام الثقافي في الجزائر: ومع مضاعفات الأزمة الاقتصادية بسبب الصدمة النفطية، يشهد الإعلام الثقافي عامة والصحافة الثقافية خاصة تراجعاً كبيراً إلى درجة يصفها بعض المتابعين والدارسين بالموت البطيء في بعض الأحيان وبالاختفاء القسري في أحيان كثيرة. "على الرغم من أن الصفحات الثقافية تعتبر الأكثر شعبية والمقروءة أكثر من غيرها ولا سيما من قبل المثقفين والقراء المتنورين بشكل عام فإنها الصفحات المظلومة دائماً. رغم أنها في حقيقتها الصفحات الأكثر قدرة على أن تكون الأكثر خطراً وتوجيهاً، لأن الأيديولوجيا فيها مخبوءة وراء أروية الفن والجمال والإبداع".⁽⁴²⁾ لكن هذه الأهمية الإستراتيجية للصحافة الثقافية وبمختلف قوالبها الفنية وأساليبها التحريرية لم تشفع لها في جلب الاهتمام سواء من المحررين ومدراء الصحف ومالكها أو من قبل الحكومات العربية عامة ولا من طرف الجماهير العربية بما فيها النخب المثقفة. وهي ربما من بين الظواهر الأكثر تعقيداً التي عجز التنظير العلمي في إيجاد تفسير لها ومن ثمة برمجة حلول وآليات للنهوض بالحياة الثقافية ككل.⁽⁴³⁾

للعلم فإن هذه الظاهرة السلبية والمرضية المتمثلة في نقص الاهتمام بالصحافة الثقافية ليست ظاهرة خاصة بالجزائر فقط، ولكن ظاهرة تميز الدول العربية قاطبة. بينما يزيد اهتمام الدول الكبرى والمتقدمة بالاستقطاب الفكري والثقافي لمختلف الفاعلين الثقافيين عبر استكتاب مختلف النخب المثقفة العلمية والأكاديمية والتكنوقراطية والسياسية وإشراكهم في النقاش العام حول مختلف القضايا والمسائل وربطهم بخيوط متينة عبر مد جسور الثقة بين النخب المثقفة والعلمية وبين الجماهير بمختلف مستوياتهم من أجل تكريس البعد الجماهيري للمعرفة.

إن الصحافة والإعلام الثقافي وعند الوقوف عند تجلياته اليومية في الفضاء الإعلامي الجزائري، نجده مكرسا تصاعديا عندنا في المنظومة المفاهيمية التي تقوم على مفهوم أن كل ما هو ثقافي يندرج في إطار الفلكلور ولكن ليس بالمعنى المعرفي، بل بالمعنى الشعبي المبتذل⁽⁴⁴⁾. ويمكن قياس أو ملامسة هذا الاحتقار للفعل الثقافي من خلال التناقص لدرجة الانعدام للنشر الثقافي في العديد من الصحف ناهيك عن الموت أو الاختفاء القسري للعديد من الملحقات الثقافية لكبريات الصحف العربية فإذا أخذنا بعين الاعتبار معيار أو مؤشر موت واختفاء الملحقات الثقافية لكبريات المؤسسات الصحفية العربية انطلاقا من الملحقات الثقافية لكل من الصحف الجزائرية الشعب والمساء والنصر. وكذا الملحقات الثقافية للصحف الخاصة "على غرار الملحق الثقافي لجريدة الخبر والشروق العربي..." إضافة إلى اختفاء العديد من الملحقات الثقافية للصحف العربية.

ومقابل هذا الانكماش للفعل الثقافي يزداد الاهتمام بصحافة الإثارة كبديل عن الثقافة. وقد حاول نصر الدين العياضي ومن خلال مقاربة الباحثة والأكاديمية "إيفا ماري غوفير" تحليل ومقاربة هذا التناقض بطرح سؤال مفاده "لماذا اتجهت العديد من الجرائد الورقية في العالم إلى انتهاج نهج صحافة الإثارة؟ أي لماذا تتحول الصحف الجادة إلى صحافة صفراء⁽⁴⁵⁾ كما يسميها المختصون؟ وقد حاول استعراض بعض المؤشرات لتقريب الفهم حول المنطق المقلوب بالقول "يرى البعض أن الإجابة عن هذا السؤال بسيطة وسهلة، لأن الصحافة أصبحت تخضع خضوعا أعمى للمعلنين، لذا تفرط في نشر المواد الصحفية المتعلقة بحياة مشاهير الفن والطرب ونجوم المسرح وملاعب كرة القدم وملكات الجمال وعارضات الأزياء والمودة وفصائح الجنس والجريمة، وهي المواضيع التي تجلب أكبر عدد من القراء" كما أن النخبة بمفهومها الذي ساد في بداية القرن الماضي والذي جعل منها قوة منتجة للأفكار والثقافة ذابت في المجتمع أو تقلص وجودها، وبالتالي تأثيرها أمام صعود شرائح جديدة ممثلة في النجوم الذين يقدمون الاستعراض والفرجة والإغراء بدل الأفكار والآراء.

والثقافة تصنعت وأصبح يديرها أشخاص لا يفكرون سوى في المال، فأنتجوها وفق آليات اللعب وبهذا فقدت جوهرها محتفظة بالبعد الترفيهي فقط. واصفرت بعض الصحف هروبا من المضايقات السياسية إن تناولت المواضيع الحساسة في المجتمع، أو امتثالا لمنطق المنافسة المحتدة التي تفرضها السوق. ليس هذا فحسب، فالجدار الذي كان يفصل الحياة العامة عن الحياة الخاصة تهاوى وأمسّت الأقلية تتاجر بحياة الأشخاص الحميمة ومآسيها، والأغلبية تتسلى بها⁽⁴⁶⁾.

هذا الوضع المتردي للإعلام الثقافي عامة وللصحافة الثقافية خاصة يؤكدده معظم إن لم نقل كل المشرفين على إدارة وتحرير الصفحات الثقافية أو المسؤولين على الأقسام الثقافية والملاحق الثقافية لكل الصحف والمؤسسات الإعلامية في الجزائر. وقد خصصت جريدة النصر ملقا شاملا للإعلام الثقافي⁽⁴⁷⁾ في الجزائر استقصت فيه آراء معظم الفاعلين في المشهد الإعلامي الثقافي وقد طبع اليأس من واقع الصحافة الثقافية والتشاؤم من مستقبلها. وقد انطلق هذا الاستطلاع بطرح مجموعة من التساؤلات: كيف هو حال وواقع الصحافة الثقافية في الجزائر؟ ما موقعها ومحلها من الإغراب في المشهد الإعلامي ومشهد الثقافة والأدب الجزائري؟ وهل هناك صحافة ثقافية قوية ونوعية؟ كيف هو مستوى أداء الإعلام الثقافي عبر الصفحات الثقافية والملاحق الأدبية الأسبوعية في السنوات الأخيرة؟ وهل الصفحات الثقافية الموزعة على مستوى بعض الجرائد أسست حقا لإعلام ثقافي حقيقي في الجزائر؟ وما هي الإشكالات والمعوقات التي تعترضها وبالتالي تؤثر على مستوى أداء الإعلام الثقافي؟

لقد أبان هذا الاستطلاع حجم أزمة الصحافة والإعلام الثقافي في الجزائر والتي تعيش في بيئة معادية لروح الثقافة، فهي محاصرة بالرداءة الإعلامية بسبب نقص التكوين في المجال الإعلامي والممارسة الثقافية، والمنطق التجاري والبراجماتي لمديري النشر الذين قدموا من قطاعات غير ثقافية للاستثمار في قطاع الصحافة والإعلام فاستنزفوه من قيمه الثقافية والرمزية، فيستهوهم الربح المادي في المقام الأول ولو على حساب قيم المجتمع والرأسمال الثقافي للدولة. "فبقيت الصفحة الثقافية في جرائدنا عاجزة عن التميز، رغم مجهودات بعض الصحفيين الذين لا يزالون يدافعون عن المساحة المخصصة للثقافة في الجرائد التي يشتغلون فيها، لاعتبار واحد يتمثل في كونهم كُتّاب ومبدعون بالأساس. يُصرون على تثبيت ملاحقهم الثقافية في جرائدهم رغم "كسادها" بمنطق مسؤولي النشر طبعاً. والذين يُضخّون بالصفحة الثقافية مع أول صفحة إشهار واردة، أو صفحة "رسائل طلب عريس".⁽⁴⁸⁾ فإذا حضر صاحب الخلاص "الإشهار" غابت الصفحة الثقافية ولا بديل غيرها".⁽⁴⁹⁾

وتذهب الصحفية والمشرقة على القسم الثقافي بجريدة الشروق اليومي زهية منصر أعمق في توصيفها للواقع التراجمي للصحافة والإعلام الثقافي في الجزائر الذي تحول إلى "مقاولات" مؤكدة "أن الصفحات الثقافية تعتبر بمثابة العجلة الخامسة التي يتم إسقاطها أو التنازل عنها ببساطة وسهولة بمجرد توفر صفحة إشهارية والصفحة الثقافية هي آخر صفحة في سلم الأولويات" وتخلص إلى القول "الصحافة حسب رأيي كل متكامل فلا يمكن الحديث عن صحافة ثقافية قوية وصحية بدون صحافة حرة عموماً وبدون الحديث عن فعل ثقافي تصنعه الآراء الحرة التي تُناقش بعضها خارج صراع اللوبيات وبارونات الفساد والمال".⁽⁵⁰⁾

وتشخص الصحفية المتخصصة في الشأن الثقافي نصيرة محمودي ما تسميه "حروبها المؤلمة مع المؤسسات التي اشتغلت بها دفاعاً عن الإعلام الثقافي ومحاولة فسخ فضاء حر للصحافة الثقافية والكتابة الحرة ومحاولة إقناعهم بأن الثقافة هي الحل لكل مشاكلنا وتخبطاتنا الفكرية".⁽⁵¹⁾ بالقول "كقارئة ومتتبعة وحاملة لتجربة متواضعة في الإعلام الثقافي بفروعه المسموعة والمكتوبة والمرئية لم أَرْضَ يوماً عن هذا الإعلام ولم أشعر يوماً أن القائمين عليه يوجهون عناية خاصة للثقافة بشكل عام ولمن يشتغلون في هذا الحقل الحساس والغني والملغم، هناك احتقار كبير للإعلام الثقافي وغياب مطلق لإستراتيجية ناجعة وفاعلة للثقافة والعمل الثقافي وإيصال هذا الجوهر للمتلقي الذي دأب على تلقي الفئات والضل من المادة الثقافية من طرف صحفيين غير متكويين وغير متخصصين ومحدودي الثقافة والخبرة والتجربة بالإضافة إلى المحيط العام المُعادي لكل ما هو ثقافي معتبرين أن السياسي والاقتصادي هو الأهم" وتضيف نصيرة محمودي "ما زال الخبر الثقافي يأتي في هامش الأخبار وما زالت الإذاعة الثقافية في مؤخرة الإذاعات ولا يُرصد لها غير ميزانية ضئيلة وموجات محدودة وأجهزة هزيلة وإهمال خطير.. وتنتهي إلى التأكيد بمرارة "التسطيح والإهمال وانعدام التأسيس كبل كثيرا تطور الإعلام الثقافي".⁽⁵²⁾

ويرتفع سقف الإحباط واليأس ليجعل الصحفي في الأقسام الثقافية مجرد أرقام على الهامش لأن الذهنية القائمة على إدارة الإعلام لا يوجد في أجندتها المسألة الثقافية إلا في المستوى الذي يجعلها إضافة هامشية أو مجرد فقرة تكون في آخر الأجندة الثقافية".⁽⁵³⁾

ويرى الكاتب الخير شوار أن المشكلة في بروز أجيال جديدة من الصحفيين وجدت نفسها دون تأطير وبرز نوع من الصحافة لا يقدم المادة الثقافية ولا حتى الخدمة العمومية المطلوبة لأنه يجهلها وفارق الشيء لا يعطيه بالضرورة". مما أساء للصحافة الثقافية وساهم في انتشار صحافة "قتل، ونهب واغتصب"، ومما ساهم في قتامة الصورة أيضا غياب المجلات والدوريات المتخصصة وكثير من المجلات تصدر

موسمية مناسبة ولا توزع إطلاقاً إلا في دوائر ضيقة، ووسط هذه الصورة القاتمة يجتهد بعض الأفراد في مبادرات شخصية جداً يحاولون إشعال شمعة في ظلام دامس.⁽⁵⁴⁾ ويعتبر ابراهيم قارعلي هذه المفارقة "بالمأساة القاتلة" "لأن رجال الصحافة أصبحوا يمارسون الإعلام بدون ثقافة والأخطر من كل ذلك أننا صرنا امام نوع جديد من الصحفيين وهم الصحفيون غير المثقفين".⁽⁵⁵⁾

وفي نفس الاتجاه يتصور إسماعيل يبرير "أن الصحافة الثقافية مفهوم غير متأصل في الصحافة الجزائرية" مضيفاً "إن الصحافة كقيمة إذا ارتبطت بالثقافة تعني الجرأة في الطرح، القدرة على إطلاق تحقيقات تنزع نحو الاستقلالية وتُعالج مواضيع تشغل الثقافة والمثقف، وتعني أن يكون المشتغلون فيها هم خيرة ونخبة الصحافة وليس العكس". مؤكداً "الصحافة الثقافية ومنها الأدبية والفكرية والتشكيلية والمسرحية الدرامية، لا يمكن وجودها باعتبارها صحافة متخصصة إلا بوجود جمهور متلقٍ ومنتج ثقافي".⁽⁵⁶⁾

إن الحديث عن الصحافة والإعلام الثقافي لا يكتسب المعنى إلا في ظل السياق الثقافي العام للمجتمع والدولة ومن الطبيعي أن يكون استنبات حياة متدفقة ثقافياً ومزدهمة بصراع التيارات الفكرية والتنافسية المعرفية من بيئة متصحرة ثقافياً أو من مجتمع يحتقر العلم والمعرفة ويزدري الفعل الثقافي ككل. ويعتبر إبراهيم العريس ومن خلال تجربته في الإعلام الثقافي كمشرف على القسم الثقافي لجريدة السفير اللبنانية أن "إنتاج ثقافة في مناخ غير ثقافي" يصبح بالمهمة المستحيلة بالنسبة للصحافة الثقافية.⁽⁵⁷⁾ وهذا الطرح يؤكد الدكتور عمر عيلان "فالصحافة الثقافية تتراجع كلما تراجع النشاط الثقافي، والصحافة الثقافية أو بتعبير أعم الإعلام الثقافي، مؤسسة تتفاعل ضمن الفعاليات الاجتماعية المتعددة ولا يمكن فصل الإعلام والصحافة الثقافية عن جملة من الميكانيزمات التي تسهم في بلورة بيئة ثقافية مجتمعية متعددة الأبعاد والآفاق. إنها تعكس بصورة أساسية حاجة المجتمع إلى المعرفة بمكونات المجال الثقافي الذي يجعل الصحافة والإعلام الثقافي حساساً لهذه المتطلبات والاحتياجات المعبر عنها من خلال خلق الفضاءات المتنوعة في الأدب والمسرح والسينما والموسيقى والنحت والأنواع الأخرى من التعبيرات الجمالية كالرقص والأوبريت وغيرها من الفنون".⁽⁵⁸⁾ ونظراً لغياب هذه الفعاليات الثقافية في المجتمع فإن الدور الذي يؤديه الإعلام الثقافي تراجع وأفسح المجال لفعاليات أخرى منها الرياضة على وجه العموم ورياضة كرة القدم على وجه الخصوص".⁽⁵⁹⁾

ومن المؤكد أنه قد تختلف الأسباب من بيئة ثقافية إلى أخرى، لكن غياب التأسيس الثقافي للفعل الثقافي لعوامل وأسباب تاريخية تمتد إلى الاحتلال بشكليه التقليدي والحديث ومجموع التغيرات التقنية والتدفق الاتصالي الأجنبي المعطل للحاسة الأخلاقية والكابح للفعل الإبداعي مقابل إطلاق العنان للاسترخاء العقلي والعاطفي أجل كل محاولات التأسيس والبناء للصحافة الثقافية ومنه للفعل الثقافي. ويرى البعض أن أسباب الأزمة وهذا الانكماش في الصحافة والإعلام الثقافية في الجزائر تكمن في:⁽⁶⁰⁾

- غياب القراءة الحقيقية والمسؤولية للمشهد الثقافي وأهميته في تفعيل الدور التنويري بما في ذلك تبني القضايا الفكرية والحضارية المؤثرة في الفكر نحو التطور والارتقاء بالإنسان العربي كهدف تنموي أساسي

- سيادة الفكر الربحي والمادي الذي سيطر على عقلية مالكي المؤسسات الإعلامية خاصة في الصحف الخاصة الذين يخضعون لمنطق السوق وما يتطلبه من مراعاة الربح والخسارة على أساس أن جمهور المثقفين قليل وحدود مقارنة بجمهور الرياضة والغناء.⁽⁶¹⁾

- سيادة وسطوة الرأسمال غير الثقافي المتهافت على الاستثمار في حقل الصحافة والإعلام فوقعت الكثير من المؤسسات الإعلامية أسيرة لمقاولين ورجال أعمال لا يستهويهم إلا الربح ودعم النفوذ.

-التقدم المستمر للوسائط الثقافية الرقمية مقابل تراجع المنابر الثقافية الورقية، فالثقافة الالكترونية تبقى هي السبب المباشر في تراجع وانكماش الملاحق الثقافية وتقليص عدد قرائها.

- غياب الحوافز المادية والمعنوية، فأغلب ما ينشر في معظم إن لم نقل كل الصحف لا يتحصل كاتبه على مقابل، مما أدى إلى غياب النقد المتخصص وغياب الجامعيين المتخصصين فأصبح هم البعض منهم الاشتغال بمحاضراته لتأمين راتبه الشهري.

- العقلية التقليدية للمشرفين على التحرير الثقافي والتي لا تواكب التحديث المتبع في السياسة والرياضة مثلا، إضافة إلى خضوع النشر- في بعض الصحف - إلى المزاجية وعدم الأخذ بالجودة والأهمية، بل أكثر معايير النشر تؤهلها الروابط الشخصية والمصالح المتبادلة والخضوع لأصحاب الصحف.⁽⁶²⁾

"الصفحة الثقافية كفضاء أو كحيز من الأعمدة أو الصفحات الذي تكرسه الصحيفة اليومية أو المجلة الأسبوعية السياسية عادة لبحث شؤون الأدب والفن ومتابعة أخبارهما"⁽⁶³⁾ تكتسي أهمية بالغة في بعث الروح الثقافية "ففي جو الموت الثقافي والخواء الفكري تأتي محرروها على تناقضهم وخلافاتهم وتنافسهم لتحريك البلد والحياة الثقافية".⁽⁶⁴⁾

لقد ساهمت الاعلام عامة والصحافة والإعلام الثقافي بالخصوص وعلى مر العصور في نشر وتنمية الثقافة بمختلف فروعها وأنواعها لا سيما الثقافة الأدبية والعلمية والفكرية والفنية، فأصبح للصحافة وبالخصوص في المجتمعات المتقدمة وظيفة ثقافية تأسست وتجذرت في تصور الجمهور والنخب المثقفة المختلفة. "ونافست الصحافة الثقافية الكتاب منافسة شديدة في أداء هذه الوظيفة بحكم أن الصحافة أرخص ثمنًا وأكثر انتشارًا وأسهل قراءة من الكتب ولذلك قلما نجد أدبيا لا يكتب في الصحف لأنها أقوى وسائل الاتصال بالجمهور".⁽⁶⁵⁾ وكانت المقالات بمختلف أنواعها بمثابة العقل للصحيفة أو المجلة فهي الأكثر رقيا واقترابا من طابع الإنسان الذي ميزه الله بالعقل، وهي أيضا دعوة إلى التفكير والتدبير والتنفيذ والتصرف" وكانت الصحف التي تنشرها تكتسب قيمتها ورمزيتها ومحترمتها من هذه المادة الثقافية. كما أن كتاب المقال "كانوا زعماء الفكر والإصلاح معا والذين نهض العالم كله على أيديهم وحقق ما حققه من تطور وحيث كان لمقالاتهم النقدية والفلسفية والعلمية والاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية والوطنية والدولية كان لها أبعد الأثر وأعظمه في فكر أمة بأكملها في عصر بأكمله".⁽⁶⁶⁾

نخلص للقول إن مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية ساهمت في مراكمة أزمة الإعلام الثقافي وتغييب الصحافة الثقافية في الجزائر ويبقى مسار البحث عن الوجود من خلال إعادة البعث أو الإحياء عملية جد معقدة إن لم نقل شبه مستحيلة سيما في ظل استمرار التصنيع الثقافي للإثارة وطنيا واستقطابها عبر السماوات المفتوحة وعبر الإمطار الإعلامي الأجنبي. لكن يمكن إخراج الصحافة الثقافية من غرفة الإنعاش حين يتيقن الجميع وعلى رأسهم مختلف الفاعلين في المشهد الثقافي والإعلامي أنه يتعين عليهم اليوم التأكد من مقولة جون بول سارتر في الاعتقاد بالدور البارز للإعلام وللصحافة في التثقيف الجماعي للشعب، "فالصحيفة تعتبر من أهم وسائل إشراك الجمهور في الحياة الثقافية".⁽⁶⁷⁾

3- السياسات الثقافية والسياسات الإعلامية في الجزائر بين التكامل والصراع ظل العولمة الثقافية:

يرى الكثير من الباحثين أن السياسات الإعلامية تعكس بالضرورة السياسات الثقافية التي تعكس بدورها السياسات العامة للدولة والمجتمع. لأن "السياسة الإعلامية تتناول كل النظام الإعلامي في جميع مكوناته وهياكله ووظائفه ومضمونه إلى جانب الاعتبارات السياسية والاجتماعية والأخلاقية والتقنية".⁽⁶⁸⁾

وبالتالي فتعتبر وسائل الإعلام المختلفة من أهم الوسائل نقل وتبادل وإنتاج وترويج المضمون أو الخطاب الثقافي فالاختلالات التي قد تظهر في النسيج الفكري في المجتمع أو الاضطرابات الثقافية القيمة في سلوكيات الأفراد والجماعات قد تكون أسبابها الجوهرية ووسائل الإعلام المختلفة فهي قد تكون مصدر

قوة وتساهم في تعزيز قوة وتلاحم المجتمع كما قد تكون مصدر ضعف وتهلhel وتفكك إذا لم تستطع تحصين الهوية الثقافية للمجتمع سيما في ظل ما بات يعرف بالعلومة الثقافية وأدواتها القوية في اكتساح الفضاء الثقافي الكوني.⁽⁶⁹⁾ بحيث انتقل اليوم الصراع من الأرض إلى الفضاء بفعل السماوات المفتوحة والأقمار الصناعية التي تقرر طبيعة الأفكار والقيم ومعايير السلوك التي تحكم البشر فاليوم "من يسيطر على الفضاء الكوني هو الذي يستطيع أن يسيطر على الثقافة البشرية".⁽⁷⁰⁾

والمتمأل في مسار التطور التاريخي لوسائل الإعلام في الجزائر يلاحظ أن وسائل الإعلام المختلفة بداية من الصحافة المكتوبة مرورا بالإذاعة والتلفزيون وصولا إلى الإعلام الإلكتروني والإعلام الجديد عبر الانترنت لا تساهم بالشكل الأمثل في التنوير الثقافي عبر نقل وتبادل وإنتاج وتطوير الفكر الجزائري والترويج للثقافة الجزائرية بقدر ما ساهمت وتساهم في جلب واستقطاب وتوطين أدوات أحيانا غير ثقافية تساهم بشكل أو بآخر في حصار الثقافة الوطنية، وتهميشها بل وأحيانا تشكل هذه الثقافات المستجلبة كرواسب ثقافية تتداعي في شكل أدوات صراعية تمنع الثقافة الجزائرية من التطور وتكبح حركتها الإبداعية. أي أن وسائل الإعلام الجزائرية المختلفة لم تساهم في تطوير وتنمية وإحداث الطفرة الثقافية في الشخصية وفي المجتمع الجزائري بقدر ما ساهمت وتساهم في التأسيس لأزمة الصراع في المنظومة الثقافية والنسق الفكري الجزائري.⁽⁷¹⁾ وهذا طبعا يعود لعدة أسباب وعوامل أهمها الحركات الاستعمارية المختلفة وإن كان أشدها قوة وتدميرا الإستعمار الفرنسي وأساليبه الجهنمية في التخطيط الإستراتيجي والإنتاج الممنهج لأدوات التدمير الثقافي المستديم على غرار "منهج فرق تسد". لأن مكسب التعددية الثقافية قد يتحول من نعمة إلى نقمة خاصة إذا كانت هذه التعددية غير حقيقية وغير متأصلة في المجتمع وهنا يرى المهدي المنجرة "أن التعددية الثقافية تتحول إلى مصدر للصراع".⁽⁷²⁾

فباستثناء إتحاد وتجدد مختلف وسائل الإعلام الوطنية والتيارات الإيديولوجية التي تغذيها والتفافها حول مشروع الثورة التحريرية، والجهود الكبيرة التي بذلتها الصحافة الإصلاحية وبالأخص صحافة جمعية العلماء المسلمين في عشرينيات القرن العشرين تكاد إسهامات وسائل الإعلام الجزائرية في النشر الثقافي والتنوير الفكري في المجتمع لا تبين. وذلك بسبب استبعاد الثقافة كأولوية في البناء والتنمية والإخفاقات المستمرة في التأسيس للسلطة الثقافية بسبب إرادة السلطة السياسية في الانتصار الدائم لمبدأ "تسييس الثقافة بدلا من تثقيف السياسة" والذي يعتبر بمثابة شريان حياتها ومصدر مشروعيتها واستمراريتها.

إن السياسات الثقافية للدولة ومنها السياسات الإعلامية سواء على صعيد التنظيم والنصوص التشريعية والتنظيمية المختلفة أو على صعيد الممارسات تعكس وبوضوح حجم التهميش وأحيانا الاستبعاد والتغيب للجوانب الثقافية الفكرية والروحية في الحياة العامة في المجتمع وفي مختلف وسائل الإعلام. "ومن بين مظاهر الاختلال في السياسات الإعلامية كشریان حيوي لنفخ الروح في السياسات الثقافية "التبعية للسلطة السياسية في وضع السياسات الإعلامية والسيطرة على المضمون الإعلامي، حيث يلاحظ أن بلدان العالم الثالث ومنها الجزائر قد اتجهت إلى بسط كل سيطرتها على مجموع مكونات العملية الإعلامية مع تجاهل أهمية المشاركة الإعلامية ورجع الصدى وظروف الممارسة الإعلامية. وذلك لأنه كان مطلوبا من الإعلام أن ينقل خطط التنمية وأهدافها إلى الجمهور لاستيعابها والتعرف على الأسباب والأهداف، لكن دون محاولة إشراك هذا الجمهور في الحوار وإبداء الرأي والنقد".⁽⁷³⁾ وتبقى هذه الممارسات مستمرة إلى يومنا على الرغم من التحول الديموقراطي بموجب دستور 1989 والانفتاح الإعلامي بموجب قانون الإعلام 1990 ومشاريع الإصلاح السياسي منذ 2011 وظهور قانون الإعلام 2012 والقانون الخاص بالسعي البصري 2014. إلا أن السلطة السياسية تقرر بانفتاح حذر وتبدي تحفظا شديدا حول الانفتاح

الإعلامي الحقيقي والتعددية الإعلامية الحقيقية كدعامة أساسية للتأسيس للسلطة الثقافية في البيئة الجزائرية الثقافية الجزائرية والمشهد الإعلامي الوطني.

4- انعكاسات ومخاطر أزمة الإعلام الثقافي البيئة الثقافية الوطنية: لقد حذرت الدراسات والأبحاث الأكاديمية المختلفة والتقارير وكثير من الخطابات الإعلامية من مخاطر أزمة وسائل الإعلام عامة وأزمة الإعلام الثقافي خاصة، بالتأكيد على أن هذا التوجه له تداعياته الخطيرة على الفرد والمجتمع والدولة كما يحمل مخاطر حقيقية تنذر بتفكيك البنية القيمية للمجتمع وهدر المخزون الفكري الإستراتيجي لبناء الدولة سيما على المدى البعيد، حيث يتجلى الهدم المنهج للقيم الثقافية للمجتمع والتدمير الذاتي للطاقات المبدعة والقدرات الفكرية للأفراد والجماعات في أشكال من الاستلاب والاغتراب الذي تنتجه الثقافات الهابطة والترفيه المستورد من المجتمعات الغربية الذي تروج له وسائل الإعلام الوطنية مقابل تغييب وتهميش الثقافة الوطنية رغم تنوعها وراثتها وشغف التعرف إليها من الشعب الجزائري.

فوسائل الإعلام المختلفة في الجزائر وعبر مختلف المراحل الانتقالية في عمر الدولة الوطنية، من مرحلة الأحادية الحزبية والاحتكار المفروض على وسائل الإعلام إلى مرحلة التعددية وظهور الاحتكار الرأسمالي والسياسي الجديد. نجحت وبرضا السلطة السياسية في تحويل الصراع ونقله من صراع بين الصحافة ووسائل الإعلام والسلطة إلى صراع بين وسائل الإعلام المختلفة والقيم الثقافية للمجتمع.⁽⁷⁴⁾ ويتجلى هذا الصراع -الذي يؤمن الحياة للسلطة المهيمنة سياسيا واقتصاديا ووسائل الإعلام المختلفة بنوع من التعايش السلمي المؤقت- في التهافت والاندفاع نحو تدنيس المقدسات والإرث الوطني الرمزي المشترك من قيم وأخلاق المجتمع باسم الإثارة الصحفية والسبق الصحفي.

إضافة إلى هذا فوسائل الإعلام الجزائرية اليوم وبدلا من أن تساهم في تشخيص مختلف الأمراض الاجتماعية والثقافية التي تهدد المجتمع وتوجيه الجهد الفكري والعلمي الوطني والسياسات العامة للدولة للاهتمام بهذه المشاكل وإيجاد لها حلول، تساهم في الترويج والدعاية لمختلف المشاكل الاجتماعية وتكريس الثقافة الإستلابية والسلبية. وبالتالي فوسائل الإعلام الجزائرية تساهم في نقل وإنتاج وتداول الخوف كآلية شاملة للصراع الثقافي الفردي والجماعي مع البيئة الثقافية الجزائرية. وبهذه الممارسات نكون بصدد الانتقال أو التحول من "الخوف من الصحافة إلى التخويف بالصحافة".⁽⁷⁵⁾

فبعد القدسية التي ميزت الصحافة ولعقود طويلة تأسست كمصدر هيبة واحترام من طرف الجميع في المجتمع والدولة خاصة وتعزز هذا التوجه من منطلق "أن الصحافة تدخل في فضاء المجال العام ومصلحة الأمة وليس المجال الخاص الذي تمليه الاعتبارات الذاتية والظرافية الأخرى".⁽⁷⁶⁾

وقد استمر هذا الوضع وكانت له مع مرور الزمن سيما مع بدايات التحول نحو النهج الديموقراطي سيما بعد إقرار دستور 1989 الذي مهد الأرضية للتحول نحو التعددية السياسية والثقافية بإقرار الحق في الاختلاف في الرأي والحق في حرية التعبير وحرية الإعلام. وقد ترجم هذا التوجه ميدانيا بصور قانون الإعلام 1990 الذي أكد ضرورة الانتقال من الأحادية إلى التعددية الثقافية والإعلامية، وقد تجلى الصراع الإيديولوجي المعبر عنه سابقا في المجال الإعلامي وبقوة، فظهرت عشرات الصحف كل منها يعبر عن تيار إيديولوجي معين فانتقل الصراع الإيديولوجي إلى صفحات الجرائد، التي يمكن القول أنها ساهمت فعلا في تفجير مفعول الكبت المبرمج خلال مختلف المراحل الانتقالية لما بعد الاستقلال، لكن التدافع نحو التعبير الانفعالي وبالخلفية الإيديولوجية المرضية جعلت الديموقراطية في التعبير تنحرف عن مسارها الطبيعي الشئ الذي أسس لمنطق الحق في التعبير الفوضوي سيما بعد إلغاء المسار الانتخابي وإجهاض المشروع الديموقراطي وإقرار حالة الطوارئ.⁽⁷⁷⁾ كل هذه العوامل كانت بمثابة كوابح فعالة تحد من حركة الفعل الثقافي وعطلت العمل ليس بالدستور فقط ولكن عطلت العمل بمنطق العقل وأحلت مكانه القوة والعنف

بكل أشكاله الرمزي والمادي. ولا تزال تبعات وتداعيات وانعكاسات هذه الأزمة الأمنية تلقي بظلالها على البيئة الثقافية الجزائرية سيما في المشهد الإعلامي. بحيث يشهد المجتمع تصدعا اجتماعيا وتفككا قيميا وأخلاقيا خطيرين ويشهد الخطاب الإعلامي تمييعا ممنهجا ورداءة قاتلة لشرف وقديسية الممارسة المهنية والاحترافية للصحافة خاصة والإعلام عامة.⁽⁷⁸⁾ بينما تسعى الوزارة الوصية لتجسيد مشاريع إصلاح القطاع منذ 2011، تجسد منها إلغاء حالة الطوارئ وإلغاء عقوبة سجن الصحفي وإصدار القانون العضوي المتعلق بالإعلام 2012 والقانون الخاص بممارسة النشاط السمعي البصري 2014. لكن مشاريع هذه الإصلاحات تمشي بوتيرة بطيئة تدفع إلى التشكيك في صدق نوايا السلطة السياسية في إقرار إصلاحات حقيقية لقطاع الإعلام خاصة ولقطاع الثقافة عامة.

إن وسائل الإعلام الوطنية المختلفة قديمها وحديثها من الصحافة إلى الإعلام الجديد، ورغم بعض الجهود التي تبذل في إنتاج وتطوير النشر الثقافي، إلا أن اتجاهها العام ينتج خطابا إعلاميا غير ثقافي يسري في اتجاه تعزيز التخلف والنمو البطيء للنسق الثقافي الجزائري في أبعاده الفكرية والعلمية والمعرفية.⁽⁷⁹⁾ وقد يعزى ذلك إلى أسباب ذاتية أهمها نقص التكوين والهشاشة الثقافية الفكرية والعلمية والمعرفية لمعظم المؤسسات الإعلامية، وأسباب موضوعية كضعف وهشاشة مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة بداية من تفكك الأسرة والضعف وأحيانا العجز الثقافي والفكري للمدرسة والمنظومة التربوية ككل وصولا إلى تآكل وتراجع السلطة المعرفية للجامعة بسبب هيمنة إيديولوجية السلطة السياسية على هذه المؤسسة العلمية وممانعة كل جهود التأسيس لاستقلالية سلطتها العلمية والمعرفية. لكن الأخطر من كل هذا وفي ظل الطفرة الاتصالية الذي تشهده معظم المجتمعات المتقدمة والنامية بفعل التدفق الاتصالي عبر الانترنت وبدلا من تدعيم وتسريع وتيرة نمو وتطور النسق الثقافي والفكري للمجتمع يتم استخدام هذه الوسيلة التكنولوجية والإيديولوجية لمقاومة التبعية الثقافية وتعميق الصراع في المجتمع وتوسيع نطاقه الجغرافي والبشري.

المطلوب اليوم من وسائل الإعلام الوطنية المختلفة الخروج من مأزق التسييس المفرط فيه والاستقطاب المركز للقوى الاقتصادية الرأسمالية، والانفتاح الحقيقي على انشغالات واهتمامات المواطنين واستقطاب مختلف الطاقات الفكرية والإبداعية لبلورة تصور ثقافي وتجسيد طروحات علمية ومعرفية لمختلف المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من أجل دراستها بموضوعية وإطلاع السلطات المعنية عليها وتحسيس المواطن وتوعيته بمخاطر وتحديات القضايا المطروحة وإشراك الجميع في بلورة النقاش حول الحلول والمخارج الضرورية لمختلف المشاكل والأزمات التي تهدد المجتمع والدولة. وبذلك تتحالف وسائل الإعلام الوطنية مع الثقافة كممارسة واعية للحياة وتساهم في تحقيق الهدف المنشود وهو الانتقال من تسييس الثقافة إلى تثقيف السياسة وبالتالي تثقيف الحياة العامة في البيئة الجزائرية.

5- مرافعة لإعلام ثقافي بدور الاسمنت الإيديولوجي لتحصين الدولة والمجتمع: يؤكد مصطفى الأشرف صاحب مقولة: "أن الشعب العريق في الثقافة لا يتحمل الفراغ الثقافي" تمسك الجزائريين بقيمهم ودور العامل الديني في وحدتهم وتماسكهم، "فالجزائري الذي شهد الصراع بين القديم والجديد قد ظل متمسكا ببعض القيم الأخلاقية التي ورثها من القرون الوسطى على أن هذا لم يمنعه من التمييز تمييزا واضحا أو غامضا بين التراث الإنساني والديني الذي لم تخمد جذوته في قلبه أبدا"، كما يعتبر اللغة من "مقومات المجتمع النشيط الذي لا يريد أن يضمحل"⁽⁸⁰⁾

لهذا فإن تجاوز الآثار السيئة والخطيرة لثقافات الغازية لشعوبنا هو في أن نطلق الحرية لثقافتنا الذاتية بأن تعبر عن نفسها وبكل الطرق. إن إعطاء المجال للثقافة الذاتية رموزا وأفكارا هو الخيار

الإستراتيجي السليم الذي يتمكن من خلاله من تحقيق مقولة التحصين من الداخل وبهذا نعطي للثقافة الذاتية الأفق الطبيعي للدفاع عن كينونتها الاجتماعية والتاريخية والانفتاح والحوار مع الثقافات المعاصرة لأن الثقافة عبارة عن عملية مستمرة ولا تتوقف عند حد معين تكتفي بتوفيره للناس وإنما هي تهيئ الأرضية لعملية انطلاق ثقافي تأخذ من الموروث الثقافي والانفتاح على الثقافة المعاصرة نقطتي انطلاق وارتكاز في جهدها الثقافي الراهن".⁽⁸¹⁾

وفي ظل الإعلام الجديد والديناميات الثقافية التي تميزه فإنه من الآن فصاعدا فالاقتصاديات والبنى التحتية/التكنولوجية وطرق إدارة المجتمعات وتسييرها والسياسات الثقافية والميدياكية والتربوية والقوانين ذاتها.. لكافة أمم الأرض تقريبا تتأثر بهذا النمط المجتمعي الجديد وترى نفسها مكرهة أو مرغمة على التأقلم مع الواقع الجديد في (الجمع). وذلك باعتماد حلول سريعة. لمشكلاتهم العاجلة والمعقدة والتي غالبا ما لا يتم التفكير فيها مليا".⁽⁸²⁾ فالاتصال اليوم بمفهومه الشامل والاتصال الثقافي بالتحديد يمكن اعتباره بمثابة طوق نجاة للبشرية أو رؤية جديدة للكون، شريطة تكيفه واندماجه مع السياقات الاجتماعية والثقافية وتعطي مفهوم العلاقة بالذات اهتماما أساسيا. وينبغي أن تربط هذه العلاقة -حسب دانيال بونيو بين ذوات إنسانية وليس بين كائنات بشرية وأشياء".⁽⁸³⁾ "فالإنسانية قاطبة اليوم بحاجة لكي تبقى إلى تواصل الحياة إلى خلق ظروف دنيا تكفل لها اتصالا أفضل بين بني الإنسان، ظروف تقوم على مفاهيم الحرية والأمن والأمان، والاعتراف بالآخر واحترام الهويات الفردية والجماعية والتعاون".⁽⁸⁴⁾

خاتمة:

يفرض اليوم إذن الاعلام الثقافي نفسه كرافد من روافد تحقيق النهضة الثقافية والإعلامية والتنمية الشاملة كمقاربة علمية ومعرفية لتحقيق الحصانة والأمن الثقافي للدولة والمجتمع في الجزائر وذلك بوضع أسس علمية ومنهجية في قراءة ودراسة الثقافة في بعدها المعرفي بعيدا عن الذهنية الإدارية والبيروقراطية والطابع الاستعراضي الفلكلوري والاستهلاكي الشعبي غير المنتج للقيم الثقافية. سيما في ظل الانفتاح السمعي البصري الذي تشهده الجزائر والذي يبقى رغم الاختلالات الكبيرة التي يعاني منها آلية فعالة لاستقطاب الجمهور الجزائري وتأمين تفكيره ومشاعره من الإعلام الأجنبي غير البريء سواء الغربي أو العربي في ظل الاتصال الثقافي المعولم. ويكون التمكين للإعلام الثقافي من خلال منحه حرية أكبر في ممارسة حق النقد وتنشيط النقاش الثقافي في الفضاء العمومي، وتحريره من كل أشكال الأسر البراجماتي والتوجه الربحي والتجاري من خلال ضمان التكوين للصحفيين بالأقسام الثقافية وخلق نظام حوافز تدعمه الدولة عبر استحداث صناديق خاصة للإعلام الثقافي، لأنه من غير المعقول تهميش الأقسام الثقافية وإسناد الممارسة فيها إلى الصحفيين المبتدئين فلا يمكن للإعلام الثقافي وللصحافة الثقافية أن تنمو وتحقق الأهداف المرجوة منها للدولة والمجتمع بصحفيين غير مثقفين.

الهوامش

(1)* يبقى هذا المفهوم للثقافة الذي نحتة تايلور في كتابه "الثقافة البدائية 1871" من المفاهيم الشائعة والأكثر تداولاً في مختلف الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية والسوسيولوجية والثقافية والإعلامية رغم التحولات الهيكلية الكبيرة في البنية المادية والفكرية للمجتمعات والدول الحالية.

(2)** هو عملية الاتصال الثقافي بين مجموعات أو كيانات اجتماعية مختلفة ثقافياً وينجم عنها حدوث تغييرات في الأنماط الثقافية السائدة لدى إحدى الجماعتين الثقافيتين المتواصلتين أو فيهما معاً. وعرف عبد الغني عماد الثقافت بأنه "مجموع الظواهر الناتجة عن تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في النماذج الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو بكليهما" (عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة، 2006. مرجع سابق، ص93)

(3) عزام أبو الحمام: الإعلام الثقافي جدليات وتحديات، ط1، الأردن، دار أسامة، 2010. ص45.

(4) عزام أبو الحمام: مرجع سبق ذكره، ص89.

(5) محمد بغداد: حركة الإعلام الثقافي في الجزائر، ط1، الجزائر، دار الحكمة، 2011. ص8.

(6) إبراهيم العريس: الكتابة في الزمن المتغير، في تجربة الصحافة الثقافية. ط1، لبنان، دار الطليعة، 1979. ص10.

(7) عبد اللطيف حمزة، المدخل في فن التحرير الصحفي، مرجع سبق ذكره.

(8) محمود أدهم: المقال الصحفي، مصر، مكتبة الأنجلوساكسونية، 1974.

(9) طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ... مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر سعيد الغانمي، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2010. ص150

(10) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر، دراسة في الأبعاد الاتصالية والثقافية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال قسم الإعلام جامعة الجزائر 3، 2015/2016. ص50.

(11) طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ...: مرجع سبق ذكره، ص150.

(12) عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006. ص336.

(13) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص51.

(14) حجام الجمعي، مرجع سبق ذكره، ص51.

(15) صالح فيلالتي: إشكالية الثقافة في الجزائر المبادئ الأساسية والإيديولوجيا الممارسة، الأزمة الجزائرية الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ط1، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص412.

(16) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص52.

(17) صالح فيلالتي: مرجع سبق ذكره، ص403.

(18) صالح فيلالتي: مرجع سبق ذكره، ص403.

(19) Mustapha Lacheraf, Abdelkader Djghloul, Histoire, culture et société, Alger, anep, 2004, p45.

(20) مصطفى الأشرف، الجزائر، الأمة والمجتمع، مرجع سبق ذكره، ص426.

(21) Mustapha Lacheraf, Abdelkader Djghloul, Op-cit, p32.

(22) صالح فيلالتي: مرجع سبق ذكره، ص412.

(23) عمار بلحسن: "الكتابة والمنبر الغائب، المجالات الثقافية في الجزائر" في الأزمة الجزائرية الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006. ص. ص480. 481.

(24) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص ص152. 153.

- (25) عزي عبد الرحمان: الإعلام وتفكك البنية القيمية في المنطقة العربية، ط1، تونس، الدار المتوسطة، 2011.
- (26) أديب خضور: أزمة إعلام... أم أزمة أنظمة، ط2، دمشق، سلسلة المكتبة الاعلامية، 2008. ص3.
- (27) نفس المرجع، نفس الصفحة.
- (28) Naom Chomesky, Robert Mc chesney, op-cit, P 28.
- (29) هيربرت آشيلر: المتلاعبون بالعقول، مرجع سبق ذكره، ص 175.
- (30) IGNACIO RAMONET, les Médias en crise, le monde diplomatique, (Mars 2005)
- (31) محمد بغداد، مرجع سبق ذكره، ص8.
- (32) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص276.
- (33) محمد لعقاب: مرجع سبق ذكره، ص51.
- (34) Brahim Brahimi : Le droit a l'information a l'epreuve du parti unique et de l'etat d'urgence, Algerie , SAEC-) Liberte, 2002.
- (35) أبو تريعة، الإعلام الثقافي في الجزائر من مقاومة الاستعمار إلى ترقية الذوق الفني، جريدة المساء، جريدة عمومية جزائرية يوم 2012/10/13.
- (36) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص287.
- (37) نفس المرجع، نفس الصفحة.
- (38) صالح زياني، آمال حبيب، الأمن الثقافي والاجتماعي الجزائري التهديدات السياسات والآفاق، المجلة الجزائرية للاتصال، تصدر عن قسم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر 3، عدد 21 السادس الأول، 2011. ص82.
- (39) بومدين بويد: التراث ومجتمعات المعرفة، ط1، الجزائر، بيروت، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، 2009.
- (40) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص288.
- (41) * بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة المتزامن مع تاريخ 03 ماي 2017. اكتست معظم الصحف الوطنية حلة اشهارية ولم يبق من شخصيتها الاعلامية إلا اللوغو وضحت بشرف المهنة مقابل صفحة إشهار.
- (42) إبراهيم العريس: الكتابة في الزمن المتغير، في تجربة الصحافة الثقافية. ط1، لبنان، دار الطليعة، 1979. ص10.
- (43) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص341.
- (44) محمد بغداد: مرجع سبق ذكره، ص23.
- (45) نصرالدين لعياضي، لماذا تصفر الصحف. جريدة الخبر يوم 2012/12/10.
- (46) نصرالدين لعياضي، مرجع سبق ذكره.
- (47) نواره لحرش، رشدي رضوان: الصحافة الثقافية في الجزائر.. تشخيص أزمة. جريدة النصر يوم 2012/12/03.
- (48) نفس المرجع.
- (49) محمد بغداد: مرجع سبق ذكره، ص25.
- (50) نواره لحرش، رشدي رضوان، مرجع سبق ذكره.
- (51) نفس المرجع.
- (52) نفس المرجع.
- (53) محمد بغداد، مرجع سبق ذكره، ص 25، 26.
- (54) نواره لحرش، رشدي رضوان، مرجع سبق ذكره.
- (55) محمد بغداد: مرجع سبق ذكره، ص7.
- (56) نواره لحرش، رشدي رضوان، مرجع سبق ذكره.
- (57) إبراهيم العريس، مرجع سبق ذكره، ص12.

- (58) نوارة لحرش، رشدي رضوان، مرجع سبق ذكره.
- (59) نفس المرجع.
- (60) الجيلالي شرادة: الملاحق الثقافية للصحف العربية.. واقع الحال وإشكال المآل. جريدة الجزائر نيوز 2014/04/04.
- (61) محمد بغداد: مرجع سبق ذكره، ص28.
- (62) الجيلالي شرادة، مرجع سبق ذكره.
- (63) إبراهيم العريس، مرجع سبق ذكره، ص9.
- (64) نفس المرجع، ص36.
- (65) رباب صلاح السيد: الثقافة الأدبية في الصحافة المصرية، ط1، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2012. ص139.
- (66) محمود أدهم، مرجع سبق ذكره، ص9.
- (67) محمود أدهم، مرجع سبق ذكره، ص139.
- (68) صالح بن بوزة: "السياسة الإعلامية الجزائرية المنطلقات النظرية والممارسات (1979-1990)" المجلة الجزائرية للاتصال، نصف سنوية أكاديمية محكمة متخصصة تعنى بأبحاث الإعلام والاتصال، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، ع13. 1996. ص15.
- (69) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره.
- (70) عيسى الشماس: الثقافة والتربية في مواجهة العولمة، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2012. ص117.
- (71) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره.
- (72) علال بن العزيمة: "أطروحات الصراع والتثاقف بحث في التمييز" في عبد الكريم وآخرون.. التواصل والتثاقف. ط1، المملكة المغربية، الدار البيضاء، منشورات عالم التربية، 2010. ص59.
- (73) صالح بن بوزة: مرجع سبق ذكره، ص15.
- (74) حجام الجمعي: مرجع سبق ذكره، ص277.
- (75) عزي عبد الرحمان: الإعلام وتفكك البنية القيمية في المنطقة العربية، ط1، تونس، الدار المتوسطية، 2011.
- (76) حجام الجمعي، مرجع سبق ذكره، ص107.
- (77) نفس المرجع.
- (78) حجام الجمعي: أخلاقيات الممارسة المهنية في الصحافة الجزائرية من الالتزام بنقل الحقائق إلى الاحتراف في صناعتها، مجلة البحوث والدراسات في العلوم الاجتماعية، جامعة الوادي، عدد 9، 2014.
- (79) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر...، مرجع سبق ذكره.
- (80) مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983. ص417.
- (81) محمد محفوظ: الإعلام والأمن الثقافي، الموقع الإلكتروني لجريدة الرياض السعودية.
- (82) يوسف بن رمضان: الاتصال الجديد والديناميات الثقافية في المجتمعات المعاصرة، مجلة الاذاعات العربية، 2011، ص8.
- (83) يوسف رمضا: مرجع سبق ذكره، ص9.
- (84) نفس المرجع، ص12.